

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٣١) وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣٢﴾ وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ سَخِرُوا مِنِّي فَإِنَّا سَخِرُ مِنْكُمْ كَمَا سَخِرُونَ ﴿٣٣﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٤﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ آتِكُوا فِيهَا بِسِرِّ اللَّهِ جَعَلْنَا مُرْسَاهَا إِنْ رِئِي لَعْفُورٌ رَّجِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَئُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ سَتَأْتِي إِلَىٰ جِبَلٍ يَّصْعَقِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعَهُ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ يَتَّزِشْ أِبْلَعِي مَاءَكَ وَنَسَمَاءُ أَقْبَلِي وَغِيصَ الْمَاءِ وَفِيصِي الْأَمْرُ وَأَسْوَتُ عَلَى الْجُرُودِي وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ يَبْنَئُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتْلَيْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطَكُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٢﴾ [سورة هود].

تدبر هذه الآيات واكتب نتيجة تدبرك هنا، مستعينا بتفسير السعدي:

قال السعدي رحمه الله: "وقوله: ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ ﴾ أي: قد قسوا، ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ أي: فلا تحزن، ولا تنال بهم، وبأفعالهم، فإن الله قد مقتهم، وأحق عليهم عذابه الذي لا يرد.

﴿ وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ أي: بحفظنا، ومرأى منا، وعلى مرضاتنا، ﴿ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أي: لا تراجعني في إهلاكهم، ﴿ إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ أي: قد حق عليهم القول، ونفذ فيهم القدر.

فامتثل أمر ربه، وجعل يصنع الفلك ﴿ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ ﴾ ورأوا ما يصنع ﴿ قَالَ إِنْ سَخِرُوا مِنِّي ﴾ الآن ﴿ فَإِنَّا سَخِرُ مِنْكُمْ كَمَا سَخِرُونَ ﴾ ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴾ ﴿ نَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ ﴾ وقد علموا ذلك، حين حل بهم العقاب.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ أي قدرنا بوقت نزول العذاب بهم ﴿ وَفَارَ التَّنُورُ ﴾ أي: أنزل الله السماء بالماء بالمنهمر، وفجر الأرض كلها عيوننا حتى التنانير التي هي محل النار في العادة، وأبعد ما يكون عن الماء، تفجرت فالتقى الماء على أمر، قد قدر.

﴿ قُلْنَا ﴾ لنوح: ﴿ احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ أي: من كل صنف من أصناف المخلوقات، ذكر وأنثى، لتبقى مادة سائر الأجناس وأما بقية الأصناف الزائدة عن الزوجين، فلأن السفينة لا تطيق حملها ﴿ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ ﴾ ممن كان كافرا، كابنه الذي غرق.

﴿ وَمَنْ آمَنَ ﴾ {و} الحال أنه ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾.

﴿ وَقَالَ ﴾ نوح لمن أمره الله أن يحملهم: ﴿ وَقَالَ آتِكُوا فِيهَا بِسِرِّ اللَّهِ جَعَلْنَا مُرْسَاهَا ﴾ أي: تجري على اسم الله، وترسو على اسم الله، وتجري بتسخيره وأمره. ﴿ إِنْ رِئِي لَعْفُورٌ رَّجِيمٌ ﴾ حيث غفر لنا ورحمنا، ونجانا من القوم الظالمين.

ثم وصف جريها كما أنها نشاهدها فقال: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ ﴾ أي: بنوح، ومن ركب معه ﴿ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ ﴾ والله حافظها وحافظ أهلها ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ ﴾ لما ركب، ليركب معه ﴿ وَكَانَ ﴾ ابنه ﴿ فِي مَعْزِلٍ ﴾ عنهم، حين ركبوا، أي: مبتعدا وأراد منه، أن يقرب ليركب، فقال له: ﴿ يَبْنَئُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ فيصيبك ما يصيبهم. فـ ﴿ قَالَ ﴾ ابنه، مكذبا لأبيه أنه لا ينجو إلا من ركب معه السفينة.

﴿ سَتَأْتِي إِلَىٰ جِبَلٍ يَّصْعَقِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ أي: سأرتقي جبلا أمتنع به من الماء، فـ ﴿ قَالَ ﴾ نوح: ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَجَعَهُ ﴾ فلا يعصم أحدا، جبل ولا غيره، ولو تسبب بغاية ما يمكنه من الأسباب، لما نجا إن لم ينجه الله. ﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ ﴾ الابن ﴿ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾.

فلما أغرقهم الله ونجى نوحا ومن معه ﴿ وَقِيلَ يَتَّزِشْ أِبْلَعِي مَاءَكَ ﴾ الذي خرج منك، والذي نزل إليك، أي: ابلي الماء الذي على وجهك ﴿ وَنَسَمَاءُ أَقْبَلِي ﴾ فامتثلنا لأمر الله، فابتلعت الأرض ماءها، وأقلعت السماء، فنضب الماء من الأرض، ﴿ وَفِيصَى الْأَمْرُ ﴾ بهلاك المكذبين ونجاة المؤمنين. ﴿ وَأَسْوَتُ ﴾ السفينة ﴿ عَلَى الْجُرُودِي ﴾ أي: أرست على ذلك الجبل المعروف في أرض الموصل.

﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ أي: أتبعوا بعد هلاكهم لعنة وبعدا، وسحقا لا يزال معهم.

﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ ﴾ أي: وقد قلت لي: فـ ﴿ احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ ﴾ ولن تخلف ما وعدتني به.

لعله عليه الصلاة والسلام، حملته الشفقة، وأن الله وعده بنجاة أهله، ظن أن الوعد لعمومهم، من آمن، ومن لم يؤمن، فلذلك دعا ربه بذلك الدعاء، ومع هذا، ففوض الأمر لحكمة الله البالغة.

